آليات الســـرد وتشكل الوصف
في رواية الفراشات والغيلان لــ : عزالدين جـــــلاوجي.

د. حليمة أحمد محمد امبيص - قسم اللغة العربية بكلية الآداب .جامعة سبها

"Narrative Mechanisms and the Formation of Description in the Novel "Al-Farshat wal-Ghilan" by Ezzedine Jalaouji"

Abstract:

"Narrative Mechanisms and the Formation of Description in the Novel "Al-Farshat wal-Ghilan" by Ezzedine Jalaouji"

Description is one of the most important techniques in constructing narrative texts, regardless of their genres: stories, plays, and novels. Through description, the described object is presented, the place is depicted, time is traced, the development of events is monitored, characters are introduced, and their positions, conditions, and appearances are expressed. It blends with narrative elements and reflects the diverse connotations that underlie the worlds of narrative text. This process becomes an indispensable technical skill for the writer who wishes to produce a narrative text. Description is considered an integral part of narrative, particularly linked to the spatiotemporal structure, such that its relationship to time stems from its being a temporal mechanism par excellence, according to Haitham Al-Haj Ali. Despite the importance of description, it has not received the attention of our Arab critics, unlike Western critics and theorists who have paid significant attention to it in their studies, such as Philippe Hamon in his book "What is Description?", in which he defined it by saying: "Description is not..." It is always a description of reality, but rather a textual practice." Therefore, the motivation for choosing this topic was the desire to do justice to description, which has not received equal attention compared to narration. Attention has been limited to its role in serving the narrative context alone. Therefore, this study attempts to answer the questions posed by the study, including: How were the skills of description formed in the novelist Ezzedine Jalaouji? What is the role of description in creating the narrative text? To what extent has the writer succeeded in using description in language, transcending the first level of description using traditional narration to the next level, which is the use of rhetorical devices in description, often closer to the poetic rhetorical sense. The study aims to reveal the formation of description and to demonstrate the artistic values that resulted

from it, using the descriptive-analytical approach. Accordingly, the study is divided into three chapters, an introduction, and a conclusion that includes the results of the study.

Keywords: mechanisms, description, butterflies, ghouls, Jalaouji, formation, narration

الملخّـــــــص:

"آليــات الســرد وتشكل الوصف في رواية الفراشات والغيلان لعز الدين جلا وجي"

يُعد الوصف من أهم التقنيات في بناء النص السردي على اختلاف أجناسه من قصة، ومسرحية، ورواية، فبواسطة الوصف يتم تقديم الموصوف، وبه يتم عرض المكان، وتتبع الزمان، ومراقبة نمو الأحداث، وتقديم الشّخوص، و أبعادها والتعبير عن مواقفها، وأحوالها، فيمتزج مع العناصر السردية، ويعكس الدلالات المتنوعة التي تنهض بعوالم النص الروائي، ويتحول إلى إجراء فني لا غنى عنه للأديب إذا ما أراد إنتاج نص روائي، ويعتبر الوصف جزء من السرد، يرتبط بصفة خاصة بالبنية الزمكانية، بحيث تأتي علاقته بالزمن انطلاقا من كونه آلية زمنية بامتياز حسب قول "هيتم الحاج علي"، وبالرغم من أهمية الوصف لكنه لم يحض باهتمام نقادنا العرب، على عكس النقاد، والمنظرين الغربيين الذين أولوه اهتماماً بيناً في دراساتهم من أمثال "فيليب هامون" في كتابه ما هو الوصف؟، والذي عرفه بقوله:" الوصف ليس دائماً وصفاً للواقع، بل هو ممارسة نصية" لذلك كان الدافع إلى اختيار هذا الموضوع هو الرغبة في إنصاف الوصف، الذي لم يلق العناية المنصفة مقارنة بالسرد، واقتصر الاهتمام به على دوره في خدمة السياق السردي وحسب

.

لذلك كانت هذه الدراسة التي تحاول الإجابة عن تساؤلات تطرحها الدراسة منها كيف تشكلت مهارات الوصف عند الروائي عز الدين جلا وجي ؟ وما دور الوصف في إنجاز النص السردي؟ وإلى أي مدى نجح الكاتب في استخدام الوصف باللغة متجاوزاً المستوى الأول للوصف باستخدام السرد التقليدي إلى المستوى الآخر وهو استخدام البلاغيات في الوصف وغالباً ما تكون أقرب إلى الحسّ البلاغي الشعري، وعن الدراسات السابقة فعلى حد علم الباحثة أن الوصف في رواية الفراشات والغيلان لم يُدرس من قبل وتهدف الدراسة إلى كشف تشكيل الوصف، وبيان القيم الفنية التي نتجت عنه، وذلك باستخدام المنهج الوصفي التحليلي.

وعليه قُسمت الدراسة إلى: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة تتضمن نتائج الدراسة

الكلمات المفتاحية: آليات، الوصف، الفراشات، الغيلان، جلا وجي، تشكل، السرد

المقدمة:

يُعد الوصف من التقنيات المهمة في إنجاز النصوص الروائية، فيسهم في تقديم عناصر السرد، في الكتابة السردية، فالوصف حسب رأى النقاد متصل بتقديم المكان السردي، حيث تمظهر المكان متعلق بلحظات الوصف ، إنها لحظات تبين، وتختفي بالتناوب مع السرد، أو مشاهد الحوار، وكلما تغيرت الأحداث، وتطورت أدت إلى تعدد الأمكنة، واتساعها، أو انكماشها كما ورد في نص "الفراشات والغيلان" حيث تباينت الأمكنة بين المفتوحة، والمغلقة، والملاحظ أن الوصف عند الجلاوجي ليس نقلاً للواقع بل تحول على يديه إلى ممارسة نصية وظفها لتقديم المراحل الزمنية التي مرت بها الشخوص في حياتها، والمواقف التي صادفتها سواء القاسية المروعة في نص الرواية، أو المواقف الرومانسية الجميلة، كما أن السارد كشف عن الوصف الخارجي الجسماني، والوصف الداخلي النفسي للشخصيات الرئيسة، والثانوية في نص الرواية، اظف إلى ذلك أن تقنية الوصف افصحت عن نوع العلاقة بين الشخوص والأماكن من خلال مقاطع وصفية عبرت عن علاقة حميمة، وأخرى منفرة عبر مسار سردي، رسمت معالمه لغة وصفية ساقها الجلاوجي في مستويين ، مستوى السرد التقليدي المألوف، والمستوى البلاغي الذي يصور البنية السردية بلغة شعرية، تلغي الحدود المتعارف عليها بين الشعري، والسردي، و تكمن أهمية البحث في التعرف على الجوانب الإبداعية في تشكيل السرد، وذلك بدراسة الخطاب الروائي في نص "الفراشات والغيلان"، والكشف عن بنيته السردية المشكلة بتقنية الوصف، من خلال أهم أنواع الوصف السردي

تهدف الدراسة إلى كشف طرائق تشكيل الوصف، وبيان القيمة الفنية الناتجة عنه، والأثر الذي خلفه في مسارات السرد في نص رواية "الفراشات والغيلان"، هذا الأثر الذي غالباً ما يُغض عنه الطرف، ولا يُلتفت إليه مقارنة بالسرد، فالوصف لم يلق اهتماما من النقاد والدارسين، وهذا كان دافعاً لاختيار هذا الموضوع ودراسته، والوقوف على الدور الذي تلعبه تقنيات الوصف في إنجاز النص الروائي انطلاقاً من أنه لم يعد مجرد نقل لتفاصيل واقعية في صور مؤطرة، بل تحول إلى ممارسة نصية نتبينها من إجابات ناجعة لتساؤلات تطرحها الدراسة منها: كيف تشكلت طرائق الوصف عند الروائي عز الدين الجلاوجي؟، وما دور الوصف في إنجاز بنية نصية سردية تجاوزت المستوى التقليدي إلى المستوى البلاغي الذي ينم عن مهارة الكاتب في تصوير البنية السردية بلغة شعرية يتماهى فيها الوصفي، والسردي، فكان المنهج الوصفي التحليلي وسيلة لإجراء هذه الدراسة التي انتظمت في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، تناول المبحث الأول: الوصف المقترن

بالسرد، والمبحث الثاني: الوصف المستقل عن السرد، والمبحث الثالث: الوصف الاستقصائي، وخاتمة ضمت نتائج البحث

الكلمات المفتاحية: آليات، الوصف، الفراشات، الغيلان، جلا وجي، تشكل، السرد

المبحث الأول ـ الوصف المقترن بالسرد:

1ـ الســـــــرد الوصفي : يقترن الوصف بالسرد، ويتماهى الاثنان معاً في علاقة خفية، يبدو فيها الوصف متخفياً بعيداً عن الأنظار، فيصعب إدراكه للوهلة الأولى في النص ، ولكن إذا عمقنا القراءة لوجدنا أفعال حركية ووصفية في مقاطع سردية تتخلل مساحة واسعة من نص الرواية" الفراشات والغيلان"، وتُسهم هذه الأفعال في إنتاج مقاطع سردية وصفية يتخذ منها الكاتب تكنيكاً لخلق الأحداث السردية داخل النص، ويختار منها ما يناسب حكايته، وعليه " فإن اختيار فعل بعينه هو انتقاء لحالة وصفية تحدد نوعية الحدث، أو نوعية الوعي به، أو التفاعل معه، حتى نجابه مع كل فعل عملية وصفية ذائبة في العملية السردية أو خاضعة لها"(1) هذا الجانب فإنه " في السرد تكثر من الوجهة الألسنية الأفعال التي تدل على الحركة، أما في الوصف فتكثر الأفعال التي تدل على الحالة، مكونة حقلاً دلاليا، قوامه الصفات التي تدل على الأوضاع الفيزيولوجية، والنفسية للشخوص" (2) وفي مجرى السرد الوصفي تحضر دلالات الوصف في مستوياتها المتباينة مما يسمح بإلحاق الوصف بمحتوى السرد، إذ أن مركزية السرد تؤسسها المقاطع الوصفية وتماثلها مع دلالات المستويات السردية الأخرى مما يساعد على دفع الحدث السردي، ونموه، وتطوره" (3)، ومن أمثلة السرد الوصفي في الرواية ما يقدمه السارد عن أحوال أسرته بعد اجتياح الصرب إلى قرى البوسنة الآمنة، يقول:" وها هم أبناء البوسنة لم تزدهم الجرائم إلا عزماً، وكبرياء،...، وكانت خالتي المجروحة تجلس القرفصاء، تنتحب قرب أختي الصغيرة المستغرقة في نوم عميق، لم أر خالتي من قبل في الحالة التي رأيتها فيها الآن، لقد تلبد شعرها الحريري اللماع، واكفهر وجهها، وتشققت شفتاها، وزاغت عيناها المسيجتان بقضبان من اليأس، والحزن العميق العميق"(4) يحوي المقطع الوصفي عدداً من الجمل السردية المتلاحقة التي لا تخلو أفعالها من الصدى الوصفي، ومن تلك الأفعال ما تُنسب إلى خالة السارد، أو ما تدل على الإنسان بشكل عام، ومن الأفعال الدالة على الشخصية (تجلس، أسمع، تنتحب، أُشيح، تشققت، زاغت)، ومن الأفعال التي تدل على الإنسان(دُفنوا، سيبيتون، زاغت، اكفهر) وتدل هذه الأفعال على البعد النفسي، لخالة السارد، والإنسان المضطهد بشكل عام، كما توافقت الضمائر المتصلة التي تعود لخالة السارد(شعرها، وجهها، شفتاها، عيناها) وتقابلها الضمائر المتصلة العائدة على السارد(

خالتي، رأيتها) وبهذا كثرت الأفعال التي كانت في خدمة الوصف، ودفع الحدث، ونموه، وتطوره إلى الأمام. ومن أمثلة السرد الوصفي مشهد هجوم جنود الصرب على بيت السارد، وما دار في ذلك البيت من أحداث مروعة من قتل، وتنكيل، وبشاعة الفعل الإجرامي لهؤلاء الجنود يقول السارد:" يصلون يشرعون في التهام الباب، يغتال الخوف الجميع فيركنون إلى زوايا الحجرة، يشرنق الهلع أمي، تبتلعنا في حضنها، كنت أجهش بالبكاء، لعبتي لا شيء بقي في نفسي إلا لعبتي ماذا فعلوا بها؟ هل اغتنموها؟ استولوا عليها كما يستولي اللص على ممتلكات غيره، هل ماسوها بأقدامهم فمزقوها فشتتوا أجزاءها؟ وخلتها تصرخ في تناديني تستغيث بي، أمي ردت بصوت خافت أيضاً_ اسكت إنها الغيلان ستلتهمنا جميعاً"(5)

حوى النص الوصفي عدة أفعال تدل على اقتحام المنزل من قبل الصرب (يصلون، يغتال) وعدة أفعال أخرى تدل على زرعهم للخوف، والهلع بين سكانه (يركنون، شرنق، تبتلعنا، أجهش) فضلاً عن الأفعال الدالة على قسوة الغيلان الصرب، و وحشيتهم (اغتنموها، استولوا، واسوها، مزقوها، شتتوا، تصرخ) ومن أمثلة السرد الوصفي ما كان ينقله السارد (الطفل) من مناظر المجزرة التي تمت داخل المنزل، وطالت جميع أفراد أسرته يقول:" يقترب نُباح الجنود و قهقهاتهم ،...، وقع أقدامهم يزلزل الأرض، عاجلوا جدتي بضربة قوية على خدها الأيمن فأسقطها أرضاً دون حراك، والدي أفرغ فيه أحدهم وابلاً من رصاص تقيأته حديدته اللماعة الطويلة، وملأ الحجرة وميض شديد، تهاوى أبي جثة هامدة "(6)

يستمر الطفل في تقديم مشاهد الموت في وصف سردي وظف فيه الحركة، والصوت، واللون لخلق مشهد مؤثر يقول:" مد أحدهم يده إلى رجل جدتي العجوز حملها كما يحمل النسر فريسته، دار بها عدة مرات ثم أطلق سراحها ليرتطم رأسها بالجدار ويتهشم ، وتتطاير منه بعض الأجزاء، ويتراذذ منها مُخها ودمها، ركل أمي،...، شحذ رشاشته وأفرغ ناراً كاوية في ظهر أمي" (7) يستمر السارد في وصف الأفعال الوحشية لجنود الصرب متجاوزاً السرد الوصفي للحيز المغلق البيت إلى الحيز المفتوح القرية حيث عاث الجنود فساداً، حتى بيوت الله لم تسلم من الأذى يقول:" أمام عتبة باب المسجد الذي مازال يحترق كانت تتمدد جثة الإمام في عباءته البيضاء، وقد أحرقوا لحيته الحمراء، وسلخوا جزءا من جلد رأسه"(8)

يتضمن النص الوصفي عدة أفعال تدل على المجزرة (يقترب، يزلزل)، وعدة أفعال

أخرى تدل على فظاعة الجرم (يرتطم، يتهشم، تتطاير، شحذ) فضلاً عن الافعال التي تدل على شناعة فعل الجنود الصرب(سلخوا، أحرقوا، أسقطوها) وعبرت الأفعال جميعها عن غضب السارد، وأهل القرية تجاه عدوان الصرب، فيخرجوا من قريتهم هرباً من تنكيل الصرب، ويعملون على رصف صفوفهم، وشحذ هممهم، ويطلقون خطابات مدوية تعبيراً عن الاحتجاج، والرفض، وإثبات حقهم في العيش الكريم بعيداً عن العنصرية المقيتة التي يمارسها الصرب على الأقلية المسلمة في البوسنة

ثانياً ـ الوصف المتداخل مع السرد : يتميز النمط الثاني لعلاقة السرد بالوصف بشيء من التداخل، والالتحام مع المحافظة على ظهوره بشكل طاغي خلال السرد خصوصاً الوصف المتعلق بتقديم الشخصيات، والأشياء، والأماكن التي تنتمي جميعها إلى عالم السرد، فكلما أراد السارد تقديم شخصية جديدة، أو مكان جديد سيكون ساحة لسلسلة من الأحداث، فإن السرد يُفسح المجال أمام العملية الوصفية لأنه لا مناص من تقديم المظهر الخارجي للشخصية، وطبيعة المكان، وسمات الأشياء الموجودة داخله، أو حوله من أثاث، ومتاع، أو ما يجاوره من مبان، ومجسمات، وهذا الإجراء يقوم به السارد في هيئة تمهيد يهيئ به القارئ ليتلقى الوصف الذي يمنحه السارد مجالاً مناسباً، ليُعلن عن نفسه، وبذلك يكون منتمياً للسرد، وعليه" تفرض العملية الوصفية على الواصف اللجوء إلى الانتقاء، والاختيار نتيجة لازدحام الأشياء، والتفاصيل"(9)

أ- الوصف البســـــيط : يتكون الوصف البسيط من جملة وصفية مهيمنة وقصيرة، ولا يستطيع هذا النمط من الوصف مجاوزة دلالته المسخر لها من السرد إلا أنه يُفضل تلاحمه مع بقية الإشارات الوصفية الأخرى الخاصة بالشخصيات حيث يشكل دلالة اجتماعية يكون لها دور فعال في فهم القصة، وتأويلها"(10) كما يُعد هذا الوصف وسيلة للإثارة في القصة، إذ أنه يسعى للمحافظة على وضع غامض، أو سردي بحيث يتلاءم هذا الوضع في صرف النظر عن أوصاف أخرى للشخصية.(11) فالشخصية تمثل بؤرة العمل السردي، وبالرغم من أنها شخصية ورقية، لكنها تتكلم، وتُنجز، وتفكر، وتدفع بالحدث السردي إلى الأمام، ويمكننا أن نسوق هذا المقتطف الذي يؤكد على الوظيفة المهمة التي يقدمها الوصف للنص الروائي، تعود إلى إيهام المتلقي بواقعية ما يقرأ، فالوصف يعرض أكثر التفاصيل صناعة، ومكراً لإيهام القارئ بأن ما يقرأ حقيقة لا خيال، إذ أنه لا يثبت الموقف أو الشخص كحقيقة مثل التفاصيل به، وكلما دقت أسرع القارئ إلى تصديقها"(12) يقول السارد:" حملت أختي، وانطلقت اتخطى الجثث، التي بدأت تتناقص كلما تركت القرية خلفي،...، دخلت درباً متعرجاً بين الأشجار التي كانت تنتشر مشرعة أذرعتها

للسماء كأنما متصوفة يتضرعون إلى الله، راحت رجلاي الصغيرتان تتسابقان، لم أكن أعرف إلى أين أسير، ولا إلى أين أتحه ،...، المهم أن الدرب مازال يمتد أمامي كالحلم، وهأنذا أصر إصراراً على مواصلة السير فوقه"(13)

تتجلى في السرد السابق الأفعال التي تدل على الحركة في النص الروائي، فيما الوصف تكثر فيه الأفعال التي تدل على الحال، وهذا ما يُلاحظ في المقتطف السابق، حيث يتصدر المشهد وصفاً لأفعال شخصية الطفل الصغير، وهي تحاول الفرار من المجزرة التي ارتكبها جنود الصرب في قريته، وأثناء فعل الهروب يقدم وصفاً لطبيعة المكان من (الدرب المتعرج، والأشجار المشرعة أذرعتها للسماء)، وقد أخذ السارد يُقرن الوصف بالتصوير الفوتوغرافي، فينقل الواقع، والعالم، والموجودات مجزأة، ومقسمة، ومهشمة، ثم يترك للقارئ مهمة إعادة تركيبها، وبنائها عن طريق القراءة"(14) فوصف الدرب المتعرج، والأشجار المشرعة أذرعتها يشكل نوعاً من التوافق ما بين طبيعة الشخصية، وطبيعة المكان نفسه، وهذا يسهم في فهم القصة، وتأويلها من المتلقي، فالدروب المتعرجة بين الأشجار الممتدة بلا نهاية تحاكي طبيعة الشخصية التائهة المذعورة الباحثة وسط متعرجات الحياة القاسية عن ملجأ آمن، صار ضرباً من الأحلام المستحيلة، فإن حدث الهروب من القرية تزامن مع دخول وحوش الصرب إليها، مما دفع أهل القرية للبحث عن مكان آمن خارجها، وهذا يؤكد أن" أحداث الرواية، وأفعالها تتعلق دائماً بوجود محيط زماني، ومكاني يؤطرها، ومن ثمة ضرورة الشخصيات، والأمكنة، والأشياء التي تشكل الفاعلية المحركة لديمومة السرد"(15) ومن أمثلة هذا الوصف يقول السارد:" وجدتني اتسلل بعيداً عن الجميع اعتلي أكمة صغيرة، ورحت اتطلع بعيني الصغيرتين إلى القرية، إلى مهدي الدافئ حيث نبت لحمي، واينعت ذكرياتي، وازهرت أمالي الصغيرة الحلوة، كانت أخر أردية العتمة قد تهللت، وغدت خرقة رثة بالية تهاوت شراشيفها، وها الفجر راح يمد خيوطه تسعى على الأرض في كبرياء، وها ملامح القرية تظهر من بعيد عروساً تنام في حضن الجبل تجللها الأشجار الخضراء الوارفة من كل جهة، ولم يكن يظهر بجلاء إلا منارة المسجد تشمخ بقامتها تبكي في حزن"(16)

مهد السارد للوصف بمشهد بسيط، يتناول مكان الحدث، وما يحيط به، وبعضاً من متعلقاته تناولاً فيه نوعاً من الإطناب بغية تجميل السرد، وتجنب رتابته، حيث ذهب الوصف إلى الأكمة الصغيرة، وأردية العتمة، وكبرياء الفجر، وأحضان الجبل، والأشجار الخضراء الوارفة، ومنارة المسجد الشامخة، ومن المؤكد أن الوقفات الوصفية السابقة لا تُعد تجزئة للزمن من قبل السارد حتى مجيء المنقذ الذي هم في انتظاره كما قد يبدو من

كثافة الوصف، بل لأن الروائي يضع آلة التصوير في نقطة من المدى الموحي بتنقل الشخصية، ويعبر عن عمق المأساة " عن طريق اختيار بعض الوسائل، ...، فينتقي أسهلها، أي تكديس عدد من المناظر الجامدة"(17)

ب- الوصف المركب : إنه الوصف الذي ينصب على الشيء الموصوف "العنوان" الذي ينتمي إلى السرد شريطة كونه معقداً، يتم الانتقال فيه من الموصوف إلى أجزائه ومكوناته، أو الانتقال إلى المحيط الضام لهذا الموصوف"(18)

يتحقق هذا الوصف من خلال أفعال السرد، بوصفها حوافز تقع على شخصية ما، وعليه فإن انتقال الوصف من الشخصية إلى محتويات المكان، ودوران الوصف داخل حيز واحد لا يُرى من قبل المتلقي إلا إذا أُتقنت عملية الانتقال بدقة بحيث ينشأ عن مفهوم النص الروائي "الجدة، والجمال، وسعة الخيال، ودقة الوصف، وبراعة التصوير"(19) ومن أمثلة هذا الوصف يقول السارد:" مد سليمان أنامله يكفكف دموع أمه،...، والتحق برفاقه لنصعد العربة، حيث كنا، وما هي إلا لحظات حتى انطلقت القافلة، استمر سيرنا ذلك اليوم النهار كله، قطعنا وديااً، وجبالاً، ووهاداً، وسهولاً، كنا نتوقف من حين لأخر، يستطلع الدليل الطريق أمامنا،...، الطريق محفوفة بالمخاطر الجسيمة، والأعداء يتربصون بنا في كل مكان، ولعل القنابل التي وضعت تحت التراب في مكان ما، وهي الآن تتربص بنا لتنقض علينا؛ فتغتال ما تبقى في قلبنا من بسمات، وآمال توقفت القافلة ، تفرق الناس فملأوا سفح الجبل المعشوشب ، ...، وشرع القادرون في إعداد أماكن النوم، واشعال النار، وتحضير الطعام"(20)

تعمل الأفعال السردية في المقتبس الوصفي السابق دوراً واضحاً للانتقال بالوصف من الشخصية (سليمان) إلى المكان (الملجأ) عن طريق الأفعال(نصعد، انطلقت، يبرح، قطعنا، نتوقف) فقد ودع سليمان أمه، وكفكف دموعها بأنامله، وصعد العربة؛ ليلتحق بقافلة المقاتلين ضد الصرب، في حين ودعهم الفتية برميهم بالحلوى، والزهور، والدموع الممزوجة بأفراح الأمل، وهكذا ينتقل الوصف من الحديث عن الشخصية إلى الحديث عن المكان(الطريق، الوديان، الجبال، الوهاد، السهول) ومن تم إلى الحدث المرتقب وهو: مشهد وصول القافلة لسفح الجبل، والتخييم، وإعداد أماكن النوم، واشعال النار، وتحضير الطعام، وتوفير قسطاً من الراحة للعجائز، والشيوخ، والأطفال الذين انهكتهم الرحلة.

ومن أمثلة الوصف المركب في الرواية يقول السارد:" زملائي، وأترابي الصغار خديجة، وصفية، وسلمى، والإخوان عمر، وسليمان، هل يَعقل أن تموت تلك الزهور؟؟ أن تُداس لتذوي، وتذبل إلى الأبد،...، الأشجار التي غرسناها بمعية معلمنا في فناء

المدرسة؛ فتعالت، وعرشت، ومدت أفنانها،...، ما عساني أفعل بهذه المحفظة التي تُثقل كاهلي؟،..، نعبر الحدود أخطو إلى اللاوطن تمت الإجراءات بسرعة، وجدنا أنفسنا بعدها في العراء عند بوابة كوكس"(21)

يتألف النص الوصفي السابق من عدة أفعال دالة على السارد، وزملائه الأطفال الذين وصفهم بالزهور فمن الأولى (تُداس، وتذوي، وتذبل)، وأما ما يتعلق بالخلاص من ذكريات المدرسة المتعلقة بحقيبة المدرسة (تُثقل، هممت، أرميها) تم ما يتعلق بالوصول إلى الحدود (نعبر، أخطو)

يعطي الوصف دلالة على انفراج الأزمة بالوصول إلى الحدود، ودخول بوابة مدينة كوكس، وقد انتقل الوصف من وصف الشخصية إلى وصف الحدث، ومن جديد عاد إلى الشخصية، وذكرياتها، وبذلك يركب الموقف تلو الموقف في تناسق واضح من الانتقالات السردية الوصفية السريعة، عبر عبارات قصيرة يستدعيها تداعي ذاكري لسارد مشارك في الحدث حيث "رؤية السرد تتناول المقارنة ما بين وضعين تعيشهما الشخصيات"(22)

ج- الوصف الانتشاري المزجـــي: وهو الوصف الذي يتخذ لنفسه مركزاً في نقطة ما بحيث يتخذ منها نقطة مراقبة للأشياء، والمشاهد، والصور عبر صيغ سردية، مع الأخذ في عين الاعتبار ان التفاصيل التي تتجمع في الوصف تكون معروفة مسبقاً. ويُعد هذا النمط من الوصف أرقى درجات اقتراب الوصف من السرد؛ إذ يُفسح المجال لإدراك مسلمات أخرى في العلاقة بين السرد والوصف. (23) كما أن السرد بأفعاله يتوافق مع العناصر الأخرى في داخل السرد بشكل متسلسل.(24) ، ومن أمثلة الوصف الانتشاري يقول السارد: "وباختصار شديد أعلمته حقيقة الهجرة الشاقة المتعبة نحو المجهول فتقبل ذلك بامتعاض شديد، ولم يعقب ثم عدنا حيث الجميع وانهمكنا في تناول فطورنا، دعانا زوج خالتي إلى الاستعداد لابد أن نكون رجالاً أشداء"(25)

يمثل هذا المقتطف تمازجاً بين السرد والوصف من خلال الأفعال(عدنا، أنهكنا، تناول، نكون) فالسارد يتخذ لنفسه محوراً، وهو الهجرة هروباً من بطش الصرب، وأخذ يتحدث عما يراه من مشهد الاستعداد للرحيل، بل يجعل محمد، وزينب، وسليمان، يراقبون مشهد مغادرة الوطن إلى المجهول، كما جاءت الأفعال بشكل متسلسل افسحت للوصف مجالاً للتعبير الدقيق عن مشهد الهجرة من خلال الوصف الانتشاري المعروف سلفاً، فنرى التصوير الدقيق للطبيعة المحيطة بهم في فصل الشتاء، وهو توقيت الهجرة، وكذا تصوير المشاعر، والاحاسيس التي تعتري السارد أثناء مغادرة الوطن إلى المجهول، كما أن الوصف يتجلى من خلال التساؤلات المطروحة، والمونولوجات، والمناجاة المطعمة

بلغة تنضح بالعاطفة، إننا امام وصاف ماهر قادر على الدخول في التفاصيل الدقيقة، حتى بدت مشاهد الهجرة واقعاً ملموساً بالعين يقول السارد:" كانت آخر أردية العتمة قد تهللت، وغدت خرقة رثة بالية تهاوت شراشيفها، وها ملامح القرية تظهر من بعيد عروساً تنام في حضن الجبل تجللها الأشجار الخضراء الوارفة من كل جهة، ولم يكن يظهر بجلاء إلا منارة المسجد تشمخ بقامتها تبكي في حزن رجالاً اجتمعوا متطوعين لبنائها ذات صيف، واقاموا عندها حفلاً جليلاً"(26) ينقل الوصف من ذكر القرية بشكل عام إلى جزيئاتها(الجبل، الأشجار ،المسجد، المنارة)، مع اشتراك بعض الأفعال في إبراز المشهد الوصفي منها(تظهر، تجلل، تنام، تشيخ، يتكئ، اجتمعوا) إضافة إلى النعوت الوصفية لأجزاء القرية(عروساً، الخضراء، الوارفة، جليلاً، بعيد، كبرياء) وقد تأزرت الجزئيات مع الأفعال، والنعوت في إيضاح المشهد فضلاً عن الدقة في التعبير.

المبحث الثانـــــي- الوصف الحر (المستقل) :

يبدو هذا الوصف في الظاهر كأنه منفصل عن السرد، لكنه في حقيقة الأمر يندمج في "شكل مشهد قصير ، او لقطة موجزة، إنه اقحام مفاجئ يوقف تسلسل السرد الروائي، وهو يشكل أداة فنية تتراوح بين كونها وصفاً وصورة، وصفاً لكونها تقدم مشهداً، وصورة لأنها تحاول التعبير بالرمز عن حدث فعلي، أو انفعال داخلي"(27) مثل هذا الوصف يتحول إلى الحدث نفسه، أو يمهد إليه، ويمكن ملاحظة هذا الوصف في ثلاثة أنماط: الوصف الدال على انفعالات تعتمل داخل الشخصية، والوصف الممهد للحدث، والوصف الدال على الحدث، وسنتبين هذه الأنماط من خلال شواهد من واقع نص الرواية ، والبداية ستكون بأكثر الأنماط انتشاراً على مستوى النص وهو: الوصف الدال على انفعال داخلي للشخصية

يُعد مثل هذا الأسلوب الوصفي تكنيكاً آخر يتصدره سارداً عليماُ واسع المعرفة يقدم فيه" المحتوى الذهني والعمليات الذهنية للشخصية من خلال الطرق التقليدية للقص، والوصف"(28) وفيها تتداعى العمليات الذهنية على ذهن الشخصية من خلال مناجاة النفس، حيث" يتم تقديم المحتوى الذهني مباشرة من الشخصية إلى القارئ، دون حضور المؤلف مع افتراض وجود الجمهور افتراضاً صامتاً"(29) ينقل إليه الانفعالات الداخلية التي تختلج في نفسية الشخصية نتيجة تأثير حدث ما، ويتم التعبير بواسطة المشهد عن الإحساس المصاحب لذلك الحدث، ومن أمثلة هذا النوع قول السارد:" حان وقت اللقاء الأكبر، وقت الخلوة، الوقت الذي يرمي فيه كل منا الهموم بعيداً، لنبني معاً عشاً للفرح، والحب، والسعادة،...، فجأة انطفأت المصابيح، دوى الرصاص، ارتفعت أصوات

المستغيثين الخائفين،...، الوحوش يحاصرون القرية، إنهم جنود الصرب يبتلعون القرية ابتلاعاً،...، حبيبتي لابد أن نهرب، حلمنا الجميل هربيه أنت،...، أقدامهم تقترب،...، طلقات رصاصهم تقترب، صدري يعلو ويهبط بقوة،...، قلبي يدق بسرعة، هنا يجب أن أقضي ليلتي، وبت هنا أسامر حزناً، ودمعاً، وارتعاشة طاغية"(30)

يقدم المقتبس الوصفي انفعالات شخصيتي مريم، وزوجها من خلال المقارنة بين بعديهما النفسي فإن كانت مريم يقتلها الخوف، والفزع من هجوم جنود الصرب على مكان عرسها، وهي تُسرع في الهرب نحو المجهول، فإن زوجها لا يكترث للأمر، ويحرص على أن تنجو هي بحلمهما الجميل مخاطباً إياها بأوصاف جميلة قائلاً:" انت الشرف، وأنت الغد المشرق، يجب أن تفري.. هيا.. هيا"(31) تم ينتقل الوصف إلى ما بعد المقارنة ألا وهو موت الزوج، ونجاة مريم، وتخبطها بين أن ترجع إلى قريتها، أو تتراجع لكنها اختارت الابتعاد عندما ارتعدت، وجمدت مكانها من الخوف على أثر اليد التي أمسكتها من رقبتها من الخلف حينها ابتلعت ريقها بصعوبة وارتمت في صدر ممسكها فكان صدر العم حكمت صديق والدها الحميم، ومن أمثلة الوصف الداخلي الدال على انفعال الشخصية يقول السارد:" اقشعر جلدي أخرج أشواكاً طويلة حادة، ارتعدت فرائصي اصطكت ركبتاي أسناني، ارتجفت أصابعي، تسمرت رجلاي حيث وصلت كبلهما الشلل فشدهما إلى الأرض،...، مسحت العرق المتصبب على جبيني، استرجعت أنفاسي،...، رجعت القهقري عجلاً ناسياً ما تملكني من ذعر غير مبال ببرك الدم الذي تجمد على أرضية الغرفة"(32)

يُعبر المجتزأ الوصفي السابق عن الانفعال الداخلي لشخصية السارد من خلال مفردات عدة منها (اقشعر، ارتعدت، اصطكت، ارتجفت، تسمرت، الذعر، العرق، برك الدم، الشلل)

أصبح السارد في حالة ذعر تام وخوف استعصى عليه التحكم في حركة جسمه بسبب المشاهد المروعة التي رأها أثناء قتل الصرب لأسرته، مما أدى به إلى التعب الذهني، والجسدي، وشعوره بالشلل، وفقدان القدرة على المشي، والشعور بوخز أشواك طويلة حادة تخرج من جلده، نحن امام وصف تطور إلى نوع من التكنيك الخاص " إنها الدراما الذهنية، وهي محاولة تقديم الحالات الذهنية المضطربة"(33)

ـ **الوصف الممهد للحدث:** قد يتكئ السارد على الوصف وهو يستعد لافتتاح حدثاً سردياً، وبذلك يكون الوصف تكتيكاً ذكياً يجمع فيه الكاتب بين تشويق المتلقي، وتراتبية السرد، فيكون الوصف الممهد للسرد عاملاً مساعداً " يستند إليه الكاتب للإشارة إلى طبيعة

اللحظات الموالية، أو إلى طبيعة الحدث القادم، وبفضله يخلق جواً مناسباً للحدث"(34) ومن أمثلة الوصف الممهد للحدث يقول السارد:" أدركت أنه الرحيل، من النافذة التي فُتحت قليلاً"(35)

يعمل المقطع الوصفي السابق على التمهيد لحدث التخطيط للهجرة من القرية، من خلال تحديد الزمن (صباحاً) وتحديد الحدث (مغامرة صعبة) فأهل القرية جميعاً سيخوضون تجربة الرحيل، وسيركبون عباب بحر مارد جبار، إنه سفر نحو مجهول غاب فيه تحديد المكان، دل عليه أسلوب الاستفهام أين ومتى سترسو قواربنا؟ حيث أهل القرية ينتظرهم مصير مجهول فالكل يجهل وجهة هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر، ويبدو أن الجميع استسلم لمصيره، فالرحلة مجهولة النهاية، ويأتي صوت السارد ليغلق المشهد الوصفي القاتم بقوله" الأمر موكل للمقادير، الله وحده يعلم غيبنا"(36)، ومن الوصف أيضاً ما جاء في هذا المجتزأ" في كل حجرة تشاهد جداريات مأساوية تنغرز في القلب النابض سكيناً صدئة، كانت مريم تسير بجواري منقبضة الوجه، مرتعدة الجوارح لا تنطق إلا دمعاً، كيف لمثلها أن يفعل غير ما فعلت؟ ألم تقطف الغيلان حلمها الجميل حين أينع؟، ألم يغتالوا البسمة من قلبها البريء الجميل؟، وفجأة رأيتها تجمد مكانها تمثالاً مرمرياً لا تقدر على الحراك، جذبتها من يدها الرقيقة لم تتحرك، ثم فجأة تهاوت على الأرض"(37) إن هذا الوصف السيء يحول المكان السردي إلى حيز مسكون بالقبح، والبشاعة، يمحو من أفق الشخصية كل بادرة أمل وصف يمهد لحدث لقاء مريم بزوجها الذي ضنت أنه قضى نحبه في هجوم الصرب على قريتهم، لكن الوصف يقلب الصفحة القاتمة، ويعطي وعداً بصفحة مشرقة، ويمهد للحظات رائعة تمثلت في لقاء الزوجان، فيرسم الوصف صورة مغايرة لمريم وقد بدا" شذا البسمة على تضاريس وجهها"(38)

ـ وصف الحدث : تنوعت الأحداث في الرواية بين الحقيقة، والحلم، والحدث الاجتماعي، والحدث الإنساني، وفي مجملها اتخذت شكلاً بسيطاً، فالرواية حوت أحداثاً، ومواقف تتطور، وتنمو بالتدريج بطريقة تلقائية، ولا يكلف السارد نفسه عناء التصنع، والبهرجة في رصد مختلف الأوضاع، وتوضيح الأحوال، وكشف المواقف الحاسمة التي طرحها فيما يخص مجتمع البوسنة، وقدمها السارد عبر تقنية الوصف حيث" الوصف يسرد أحداثاً مخبوءة، ومتسربة عبر سراديب الجمل الوصفية"(39) وهذا نموذج من نص الرواية يوضح ذلك الوصف يقول السارد:" لكن دوياً ضخماً هز المكان... بقوة"(40)

ما يُلاحظ على المقطع الوصفي الممتد لمساحة صفحتين، أن السارد يحاول إيهامنا بواقعية الحدث بواسطة اتكائه على المبالغة المتمثلة في تقريب مشهد انفجار القنبلة إلى

الواقعية، فصوت الانفجار المدوي هز المكان، وارتفع الغبار، وانعدمت الرؤيا، وعلا الصياح، وساد الهلع، وتفرق الناس

تبدو اللوحة الوصفية وكأنها استرجاع لفيلم سينمائي يعرض أحد تفاصيل مشاهد انفجار الألغام التي تعود عليها المتفرج، والتي كثيراً ما تتكرر تفاصيلها من فيلم لآخر، ويزداد الوصف واقعية حين يصف السارد ما خلفه الانفجار من خسائر طالت جثة طفل تهرأت أجزاء جسده السفلية، هذا الوصف دل على حدث الانفجار بما يحويه من مراحل تطوره، ونموه نحو الحدث العام، واكتماله، وبيان الموقف بشكله التام فالمهجرين على أهبة الاستعداد لتقديم المساعدة، وإسعاف المصابين ، وما يثبت ذلك تدافع الناس لنقل المصابين، وفسح الطريق لسيارة الإسعاف للدخول إلى مكان الحادث، في صورة وصفية تنقل جانباً إنسانياً موسوماً بالتآخي، والتآزر، والوقوف صفاً واحداً أمام الظروف القاسية التي تفرضها معاناة النزوح، والتهجير من الأوطان، وبالرغم من مهارة السارد في تقديم الحدث بتقانة الوصف لكن ما يؤخذ على هذا النوع من الوصف أنه وضع الكاتب في سياق قالب معين للحكاية لا يستطيع تجاوزه، فهو يملأ الحكي بالخيال، ويصنع الشخصيات، والأفعال، ويدبج اللغة، لكي يظل الوصف أسير نمط محدد مستهلك، هو نمط محاكاة وصف حوادث العنف المختلفة عند غيره من الروائيين، والدليل على ذلك أن القارئ المحنك حين يلج الحكاية المسرودة يستطيع أن يتوقع بعض الأحداث، ويتمكن من تجميع ملامح النص قبل الكاتب نفسه، مما يخوله كتابة تصوره الخاص للنص أثناء القراءة ، فيضعف جانب التشويق عنده، وينقطع عن قراءة النص، وتبدأ مرحلة ترك الرواية هروباً من الأنماط المحدودة المستهلكة في الكتابة التقليدية للنص الروائي، ومن أمثلة الوصف الدال على الحدث، ما ورد في نص الرواية من أحداث ذات الطابع الاجتماعي، والتي صنعت لها بنية دلالية عميقة، واكسبت النص ذلك الثراء على المستوى الفني، وكشفت تكنيك الكاتب في توظيف الجانب الاجتماعي الذي التقطه من تفاصيل الحياة اليومية للشخوص لصناعة الأحداث وتطويرها، ولعل أوضح ظاهرة اجتماعية في نص الرواية هي الهجرة من الوطن هرباً من بطش العدو، ومعاناة المهجرين البوسنيين من الجرائم المرتكبة في حقهم، مما اضطرهم للتخلي عن أراضيهم، وأملاكهم للنجاة بأنفسهم من بطش جنود الصرب، يصف السارد رحلة المغادرة قائلاً:" تكومنا في العربة الخشبية،...، كان الجميع قد حضر نساء، و رجالاً، وأطفالاً، وعجزة، اختلطت أصواتهم مع نُباح الكلاب، وثغاء النعاج، وصياح الديكة، أعطى الشيخ إشارة الانطلاق فهرع الجميع في

صف كبير تاركين قريتهم، وأرضهم، وديارهم، ميممين شطر المجهول، شطر التشرد والضياع

يبدأ الوصف بمؤازرة الحدث باستعراض واقعة الخروج، فأهالي القرية المتدفقين من كل مكان صوب العربات الخشبية، والصرخات، والاصوات العالية المختلطة بأصوات الحيوانات التي رافقتهم، تكشف فاعلية الوصف في تأسيس مراحل الحدث السردي ، فيقوم الوصف هنا بتقديم كل ما من شأنه تأكيد المعاناة، وآلام الفراق ليُظهر بداية الرحلة، وهكذا كان الوصف دالاً على الحدث بما يحويه من مراحل تطوره، ونموه نحو الحدث العام، واكتماله، وبيان الموقف بشكله التام، فأهالي القرية على أهبة الاستعداد للفرار من القرية، وما يُثبت ذلك تدفقهم صحبة حيواناتهم على العربات الخشبية يستقلونها تعبيراً عن الرفض القاطع للبقاء في القرية مع ما يجري فيها من جرائم الصرب، وهم يرون في الهجرة إنقاذ للسكان من الهلاك.

المبحث الثالث- الوصف الاستقصائي :

يُعد الوصف الاستقصائي من أبرز أساليب السرد عند الواقعيين، وفيه يتم تجسيد الموصوف بأدق تفاصيله، ونقله بكل حذافيره " مما يخلف مقاطع وصفية مطولة عبر مساحة النص السردي، وفيه يلجأ الكاتب إلى الاستقصاء، والاستنفاذ"(41) لذا يُسمى بالوصف "التفصيلي، أو الفوتوغرافي، أو الاستقصائي"(42) وهذا المُسمى نجده عند أغلب الدارسين لتقنيات السرد، ويُعده "جيرار جنيت" بمثابة وقفة، أو استراحة للوصف في أثناء السرد"(43)

- **الوصف الاستقصائي للشخصية:** استخدم الكاتب الوصف الاستقصائي في تقديم شخوصه، فعلى مستوى نص(الفراشات والغيلان) اهتم الجلاوجي" بالأبعاد الثلاثة التي تتكون منها الشخصية بصفة عامة هي: البعد الجسماني، والبعد النفسي، والبعد الاجتماعي"(44) حيث يقدم تفصيلات استقصائية عن شخوصه، فيعرض البعد الخارجي من هيئة الجسم، وشكل الهندام، ومن ذلك ما جاء في تقديم شخصية الجنود الصرب ، والذين ينعتهم بالغيلان يقول السارد:" الغيلان،...، رأيتهم إنهم مزيج من بشر، وكلاب، وخنازير، طوال عراض يحملون قطعاً حديدية تلمع، يلبسون أحذية ثقيلة، مخالب أياديهم طويلة حادة، مناخيرهم مدببة، آذانهم ممتدة إلى الأعلى، أصواتهم نُباح وتكشير"

نعت السارد الجنود بأبشع الصفات، وقد شبههم بهذه الحيوانات لتوفر القاسم المشترك بينهما وهو الوحشية، وهذه النعوت خدمت النص حين كشفت أحداث العنف التي يصورها، لقد تكالب جنود الصرب على قرى البوسنة، وفعلت ما يقف السارد عاجزاً عن

وصفه، ولعل التركيز على ملامح الوجه، والصوت، دلل على وحشية الفعل المُرتكب، وصبغ الحدث بصبغة درامية، أما في وصفه لشخصية الشيخ الذي التقاه في إحدى القرى على الحدود فإنه يركز على الملابس، وهيئة الجسم، وملامح الوجه يقول :" شيخ في الستين من عمره، يجلس بالقرب مني، قوي البنية، مشرق الوجه، يلبس عباءة بيضاء، غزا الشيب معظم شعر لحيته، فزاد وسامة ملامحه وسامة، وزاده هيبة، ووقاراً"(45) أما الوصف الاستقصائي لشيخ القرية في بعده الاجتماعي فقد تناول مكانة الشيخ وأهميته لسكان القرية يقول:" إنه إمام القرية،...، والتقاليد عندنا تقتضي أن نرجع إليه،...، في كل حين مواسمنا أعيادنا أفراحنا أتراحنا"(46) وفي ذات الوقت يهتم بتقديم البعد النفسي فالشيخ حزين لما حصل لأهل القرية، ويقرأ القرآن بعناية، ويرسله عذباً مجلجلاً، ويخفف عن أهل قريته وقع المُصاب، ويذكرهم بأن موتاهم في الجنة خالدين أحياء لأنهم مظلومين أولاً، ولأنهم ماتوا على يد الكفار ثانيا، وصار ملجأً للمهاجرين يحل مشاكلهم، وكلمته مسموعة بين سكان المخيم، حتى خالة السارد عندما أرادت مرافقة الشيخ، وسكان القرية إلى مكان المجزرة لدفن أختها، ومن قضوا على يد جنود الصرب، طلب منها الشيخ عدم الذهاب فامتثلت لأمره فنصحها قائلاً" لا يا بُنيتي ليس من مصلحتك الذهاب، دورك الآن عظيم، الوفاء لأختك هو أن تحفظي ابنها، وابنتها"(47) ومن أمثلة الوصف الاستقصائي للشخصية ما قدمه السارد من تفصيلات عن شخصية ابن خالته من حيث بعدها الخارجي بوصف تفصيلات جسمه قائلاً" ابن خالتي فتى قارب الثلاثين يميل إلى الطول، والنحافة، فيه كثير من صفات أمه لونها، خضرة عينيها، وجمال ملامحها، بريق شعرها، جمالها الفياض"(48) كما أنه فصل الوصف في بعده الاجتماعي قائلاً" فهو متعلم متفوق، زار كثيراً من بقاع الأرض، وخبر الشعوب، والأمم، درس بالسعودية،...، وزار أمريكا، وإنجلترا، واليابان، لقد كان دوماً قدوة للشباب، ومضرب أمثالهم"(49)

الوصف الاستقصائي للحدث: من أمثلة هذا الوصف وهي كثيرة على امتداد نص الرواية ما نقله السارد من أحداث المجزرة التي ارتكبها جنود الصرب داخل منزله، والتي طالت جميع أفراد أسرته بدءاً بجدته التي حاولت الدفاع عن ابنها، يتسع الوصف الاستقصائي، ويجمع تفاصيل صغيرة امتدت لمساحة أربع صفحات، يصف فيها السارد تفاصيل المجزرة في مشاهد مروعة أبرزها

- عاجلوا جدتي بضربة قوية على خدها الأيمن فأسقطها أرضاً دون حراك
- والدي أفرغ فيه أحدهم وابلاً من رصاص تقيأته حديدته اللماعة
- تهاوى أبي جثة هامدة فوق جدتي، وانفجر الدم من جسده

- مد أحدهم يده إلى رجل جدتي العجوز... حملها... دار بها عدة مرات، تم أطلق سراحها ليرتطم راسها بالجدار، ويتهشم، ويتطاير منه بعض الأجزاء، ويتراذذ منها مخها، ودمها هنا وهناك

- ركل أمي ... شحذ رشاشه، وأفرغ ناراً كاوية في طهر أمي حتى تقيات فوقنا، ... كان الدم ينزف من فم والدتي، ومن أنفها، ومن جراحاتها بقوة كأنه نهر يتدفق"(50)

تعبر تفاصيل الحدث الاستقصائية عما يحمله الصرب من حقد دفين، ونفسية في قمة الإجرام، ويؤكد نجاح الروائي في لعبة إيهام المتلقي بالواقع، هذا الواقع ليس بجديد على دارس أحداث عشرينيات القرن العشرين، من تهجير البوسنيين خارج وطنهم، لكن الأحداث في الرواية، تتجاوز عرض الوقائع التاريخية، وتوظف اللغة الوصفية، وتفعل دلالات، وإيحاءات تحول التخييلي إلى واقعي يمكن تصديقه، وأداة الكاتب في ذلك هو تقنية الوصف بنمطيها الوصف الخارجي، والوصف الداخلي

الوصف الاستقصائي للمكان: يُؤسس مثل هذا الوصف على تتبع، وجمع الكثير من عينيات المكان ومتعلقاته، ونحن أمام هذا النمط من الوصف كأننا أما كاميرا فاحصة تلتقط ما يقع في مرمى الرؤية من شكل، وهيئة، ولون لتقدم للمتلقي صورة وصفية لأمكنة متباينة كثيراً ما يراوده أحساس أنه دخلها، أو زارها، أو مر بها في طريقه، ومن أبرز المقاطع الوصفية في الرواية، وصف السارد للقرية عقب مغادرتها يقول:" ونظرت خلفي حيث القرية بدأت تغيب بناياتها بين الأشجار العالية... قزعات بيضاء كانت تحوم في صفحة السماء، ومازال الدخان يلف القرية، وقد أشتد سواداً، وكثافة، ومنارة الجامع وحدها مازالت تقف شامخة وسط المأساة"(51)

يعود السارد مرة أخرى إلى ذات اللوحة الوصفية قبيل الهجرة من القرية في استرجاع قريب المدى يقول: "وها ملامح القرية تظهر من بعيد عروساً تنام في حضن الجبل تجللها الأشجار الخضراء الوارفة من كل جهة، ولم يكن يظهر بجلاء إلا منارة المسجد تشمخ بقامتها تبكي في حزن رجالاً اجتمعوا متطوعين لبنائها ذات صيف، واقاموا عندها حفلاً جليلاً"(52)

نلحظ من خلال النص أن اللوحتين الوصفيتين ارتبط فيهما وصف القرية بالحدث (المغادرة، الهجرة) وارتبط بالزمان (النهار، الفجر) وتخلل الوصف الحوار بين السارد وعثمان في اللوحة الأولى، وبين السارد وزوج خالته في اللوحة الوصفية الثانية، لندرك أن الحدث في العملية السردية بركنيه الزمان، والمكان ما هو إلا حركة الشخصية" على حيز مكاني معروف، وفي سقف زمني محدد"(53) يعرضهما الوصف متتبعاً تلك الحركة،

ولا تقف مهمة الوصف عند نقل الوقائع والأحداث فحسب بل يتجاوزه محاولاً " الكشف عن خبايا النص السردي، ومكونات الشخصية"(54) ، كشف الوصف عن سارد لم يتعامل مع شكل القرية تعاملاً مادياً وفقاً لما تناظره العين من مشاهد الهيئة، والشكل، واللون، ووفق ما يمليه العقل والمنطق في نقل صفات القرية الخارجية، لكننا في المقطع الوصفي السابق نحن أمام سارد " رأى القرية بعينه، وقلبه فكان وصفه لها وصفاً وجدانياً لأنه يصفها بإحساسه"(55) ، كشف الوصف عن تفاصيل علاقة حميمة بين السارد والقرية، إنها العشق لمسقط رأسه، ومرتع طفولته، وأحلام شبابه يتكرر الوصف الوجداني للمكان في الرواية منه وصف بيت خالة السارد، ووصف الطرقات الجبلية، ووصف الغابات الخضراء، والسارد وهو يصف الأماكن في الرواية يستخدم الألوان، والإضاءة، والظلال، لاسيما اللون الأخضر لوصف الأشجار، واللون الأصفر للوجوه الشاحبة المنهكة، واللون الأحمر لقرص الشمس، والدماء، واللون الأسود، والرمادي للدمار والخراب الناجم عن حرق القري، تبدو الألوان على اختلافها في المقاطع الوصفية ذات إيقاع بطيء حزين، يوظفها السارد ليقدم للمتلقي مشاهد لطبيعة، وأماكن، فتبرز عفوية استعمالها جمال، وروعة المكان الموصوف، وبشاعة الفعل البشري، فيقدم طبيعة ساحرة، وأماكن رائعة خصوصاً عندما يمزجه بتقديم أصوات الطبيعة على اختلاف أنواعها كحفيف أوراق الأشجار، وصوت الريح، وقصف الرعد، وثغاء الشياه مختلطاً بالأصوات البشرية من جدل، وصراخ، ونحيب، وبكاء، وأصوات المستغيثين الخائفين، إننا أمام لوحات وصفية، ومشاهد تعتمد تقنية الرصد، والتقاط مختلف التفاصيل الصغيرة، والأوصاف الدقيقة، ينقلنا فيه السارد لنعيش مع نص الرواية وهماً مفاده أننا في عالم الواقع لا عالم التخييل.

وصف الأشياء : من أكثر الأشياء التي تناولها الوصف الاستقصائي (العربة) ربما لأهميتها في عالم الرواية، فالعربة شكلت نقطة ارتكاز تدور حولها عناصر السرد وتتجمع عندها أنماط الوصف، فالعربة كانت مكاناً تجمعت فيه الشخصيات، والعربة حركت الحدث المتمثل في الهجرة فتنامى تراتبياً من البداية إلى الوسط إلى النهاية ، والعربة خطت حدود الزمن الماضي، والحاضر، والعربة حفزت ذاكرة السارد فكانت الاسترجاع الذاكري القريب، والبعيد المدى، إننا أمام عربة نهضت بآليات الوصف فتارة نجده يتداخل مع السرد ويتماهى فيه، وتارة يبتعد عن السرد صانعاُ لنفسه حدوداً واضحة مستقلة في مقاطع مطولة لا أثر فيها للسرد، لذلك قدمها السارد بتفصيلات تصنيفية كثيرة امتدت عبر مساحة واسعة من النص، وفي وصف متناثر عبر السرد من" ص39 إلى

ص55 ومن أمثله أوصاف العربة والتي تناولت الوصف الخارجي والداخلي وهي على سبيل التمثيل لا الحصر يقول السارد:

1- عجلنا بإخراج الأمتعة وضعناها في عربة يجرها حصان.
2- أسرعنا نركب تكومنا جميعاً على خشبة العربة.
3- تكومنا في العربة الخشبية الباردة رغم ما فرشته خالتي تحتنا.
5- زوج خالتي يقود العربة ... كان الحصانان يتبعان الطريق بغريزتهما.
6- وقفت داخل العربة نظرت إلى مقدمة القافلة.
7- وسط العربة تكومنا أنا وخالتي.
8- بدأت العجلات تُطلق صريرها إيذاناً بالانطلاق.
9- مددت بصري إلى مقدمة العربة"(56)

الخاتمة

بعد دراسة تقنية الوصف، ودوره الفعال في البناء الروائي في نص" الفراشات، والغيلان خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

1- - ينوع الجلاوجي في طرائق ترتيب الوصف داخل نصه الروائي الفراشات والغيلان، فنجده يبدأ الوصف من العام إلى الخاص، فيقدم الموصوف بشكل عام ثم يقدم وصفاً لأجزائه كما فعل في وصف القرية، والجامع، والمزارع بعد تخريب الصرب لها وحرقها

2- يباشر الوصف من الخاص إلى العام، فيقدم أجزاء الموصوف ثم يصفه بشكل عام، وهذا الوصف كثيراً ما يُصاحب المقاطع التي تصف هجوم الصرب على منزل السارد، وأحياناً يلجأ إلى تقديم الوصف حسب تكنيك التسلسل المكاني، فيحرك الكاميرا من داخل المكان إلى خارجه، أو من أعلاه إلى أسفله، والعكس، أو ينقل الكاميرا فيسلطها على الأماكن القريبة كما فعل في وصف العربة التي تجرها الخيول، وقد يولي اهتمامه بالأماكن ويستقصي تفاصيلها كما فعل في وصف أرجاء المخيم الذي استقرت به الأسر الهاربة من بطش جنود الصرب

3- يحرص على تقديم الوصف حسب التسلسل الزمني خصوصاً عندما يقدم الحوادث الكبيرة ذات المشاهد الدرامية المؤثرة فنراه يتابع أكثر من زمن، ويستخدم تقنية الاسترجاع في وصف الزمن الماضي زمن الحياة الآمنة المستقرة في ربوع قرية السارد الهادئة قبل اقتحام جنود الصرب لها، وفي المقابل ينقلنا إلى وصف الزمن الحاضر زمن

الرعب، والخوف، وترقب المجهول بعد هجوم جنود الصرب، وتخريبهم للقري، وهدمهم للمساجد، وحرقهم للمزارع، وإزهاق الأرواح البريئة، والإبادة الجماعية لأهالي البوسنة.

4- ومن تكنيك الكاتب في معالجة المشاهد الوصفية داخل النص الروائي هو: الابتداء بوصف الجزء الأكثر إثارة، وتشويقاً تم ما حوله حتى يكتمل المشهد الوصفي، كما رأينا في المقاطع الوصفية التي قدمت مشاهد لمقتل شيخ القرية، وإمام الجامع، والتمثيل بجثثه، وحرق الجامع، وهدم صومعته، فأكمل مشهد الإبادة للبشر، والحجر على أيدي الغيلان (الجنود الصرب).

5- يعطل الوصف سير الأحداث ليضع المتلقي وجها لوجه أمام مشهد مشوق، يحفزه فيه لترقب ما

سيقع من أحداث فإيقاف السارد للأحداث عند موقف حرج ما هو إلا تكنيك احترافي من الكاتب ليزيد النص إمتاعا وجمالا وتألقا عبر المسار السردي.

6- قدم الجلاوجي المكان السردي في لغة وصفية ضمنها مستويين مستوى السرد التقليدي،

والمستوى البلاغي الذي صور بنية المكان بلغة شعرية ألغت الحدود المتواضع عليها بين الشعري، والسردي.

الهوامـــــــــــش:

(1) وظيفة الوصف في الرواية، عبد اللطيف محفوظ، دار اليسر للنشر، المغرب، (د.ط)، 1989،ص30.

(2) الألسنية والنقد الأدبي في النظرية، والممارسة، موريس أبو ناضر دار النهار للنشر، بيروت، (د.ط)،1979، ص133.

(3) أبحاث في النص الروائي العربي، سامي سويدان، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط1، 1986،ص157.

(4) الفراشات والغيلان(رواية)، عز الدين جلاوجي، دار المنتهى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ط4، 2015،ص29.

(5) الفراشات والغيلان: ص10-ص11.

(6) الفراشات والغيلان: ص 13

(7) الفراشات والغيلان: ص14

(8) الفراشات والغيلان: ص18.

(9) وظيفة الوصف في الرواية، عبد اللطيف محفوظ، مرجع سابق، ص31.

(10) الشخصية في الفن القصصي والروائي عند سعدي المالح، سناء سلمان العبيدي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015، ص112.

(11) أبحاث في النص الروائي العربي، سامي سويدان، مرجع سابق، ص144.

(12) بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، سيزا قاسم، طبعة مكتبة الأسرة، القاهرة، 2004،ص111.

(13) الفراشات والغيلان: ص19.

(14) إشكاليات الواقع والتحولات الجديدة في الرواية العربية، الخواجة دريدي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د.ط)، 2000، ص100، ص101.

(15) وظيفة الوصف في الرواية، عبد اللطيف محفوظ، مرجع سابق، ص42.

(16) الفراشات والغيلان: ص39،ص40.

(17) بحوث في الرواية الجديدة، ميشال بوتور، تر: فريد أنطونيوس، دار منشورات عويدات، بيروت، ط3، 1986، ص44.

(18) وظيفة الوصف في الرواية، عبد اللطيف محفوظ، مرجع سابق، ص49.

(19) في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عبد الملك مرتاض، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب، الكويت، ع240، 1998، ص259.

(20) الفراشات والغيلان: ص43،ص44.

(21) الفراشات والغيلان: ص59.

(22) الشخصية في الفن القصصي والروائي عند سعدي المالح، سناء سلمان العبيدي، مرجع سابق، ص99.

(23) وظيفة الوصف في الرواية، عبد اللطيف محفوظ، مرجع سابق، ص36.

(24) السرد والوصف، جيرار جنيت، تر: مهند يونس، مجلة الثقافة الأجنبية، بغداد، ع2، 1992، ص54.

(25) الفراشات والغيلان: ص37.

(26) الفراشات والغيلان: ص40.

(27) وظيفة الوصف في الرواية، عبد اللطيف محفوظ، مرجع سابق، ص57.

(28) تيار الوعي في الرواية الحديثة، روبرت همفري، تر: محمود الربيعي، دار غريب القاهرة، (د.ط)،2000، ص72.
(29) المرجع السابق: ص74.
(30) الفراشات والغيلان: ص53.
(31) الفراشات والغيلان: ص53.
(32) الفراشات والغيلان: ص15.
(33) تحفيز الحلم في الرواية النسائية السعودية، حنان عبدالله الغامدي، دار الزيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2020،ص23،
(34) وظيفة الوصف في الرواية، عبد اللطيف محفوظ، مرجع سابق، ص59.
(35) الفراشات والغيلان: ص36.
(36) الفراشات والغيلان: ص36.
(37) الفراشات والغيلان: ص67.
(38) الفراشات والغيلان: ص68.
(39) وظيفة الوصف في الرواية، عبد اللطيف محفوظ، مرجع سابق، ص59.
(40) الفراشات والغيلان: ص65، ص66.
(41) بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، سيزا قاسم، ص113.
(42) فضاء النص الروائي، محمد عزام، دار الحوار للنشر و التوزيع، اللاذقية، ط1، 1996،ص115.
(43) حدود السرد، جيرار جنيت، تر: بنعيسي بو حمالة، مجلة آفاق المغربية، ع8-9، 1988، ص60.
(44) فن كتابة القصة، حسين القباني، مكتب المحتسب، عمان، ط2، 1974، ص70، ص71.
(45) الفراشات والغيلان: ص25.
(46) الفراشات والغيلان: ص25.
(47) الفراشات والغيلان: ص25، ص26.
(48) الفراشات والغيلان: ص30.
(49) الفراشات والغيلان: ص30.
(50) الفراشات والغيلان: ص13، ص14.
(51) الفراشات والغيلان: ص22.
(52) الفراشات والغيلان: ص40.
(53) الفن القصصي وبناء الشخصية، صبري سليم حمادي، مجلة أبحاث اليرموك، الأردن، ع3، 1996، ص45.
(54) الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والتطبيق والممارسة، موريس أبو ناظر، دار النهار للنشر، بيروت، (د.ط)، 1979، ص132، ص133.
(55) فن الكتابة تقنيات الوصف، عبد الله خمار، دار الكتاب العربي، الجزائر، 1998، ص7.
(56) الفراشات والغيلان من ص39، إلى ص55.